مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

مدخل إلى النَّظَر الفَلْسفي للدِّين

Introduction to philosophical reflection to Religion

منير تواتي TOUATI Mounir Mounir.touati@univ-constantine2.dz	الفلسفة	مختبر فلسفة العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة2.عبد الحميد مهري /الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-002-006

الإرسال: 2020/04/07 **القبول:** 2020/10/24 **النشر:** 2021/03/16

ملخص: فلسفة الدين أو الدين كموضوع للنظر الفلسفي، هو الموضوع الذي نسعى لدراسته في هذه المقالة، وقد أصبحت فلسفة الدين من أكثر الفلسفات رواجا في الفكر الغربي والإسلامي المعاصر، حيث سنعرِّف في مقالتنا هذه بالفلسفة والدّين، ثم فلسفة الدين التي أضحت تُوجِّهُ نقدَها وعقلانيتها على الدين والظاهرة الدينية ككل، فالدين لم يكن موضوع بحث فلسفي قبل أن تنظر فيه عيون العقلانية النقدية الحديثة، وقد وُضع الدين أمام سلطة العقل والنقد والسؤال، بعدما كان من قبل مُتميزًا بسلطة الأمر والنهي، كما سنعرض لأهم مباحث فلسفة الدين، ثم نُعطي لمحة تاريخية عن بداية ظهورها ونشأتها في المجالين الغربي والإسلامي.

كلمات مفتاحية: الفلسفة؛ الدين؛ فلسفة الدين؛ موضوعات فلسفة الدين؛ تاريخ فلسفة الدين.

Abstract: The religion as a subject to philosophical reflection is the subject who we want to study it in this essay, philosophy of religion became the most important philosophy in western and Islamic contemporary thought, where we will define in this our essay the concepts of the philosophy and the religion and the philosophy of religion who became practicing its critic and rationalness on all religious phenomenon, the religion was not an subject to philosophical reflection before the modern critical rationality, the religion put front the power of reason and it had before the power of commanding and inhibition.

Keywords: Philosophy, Religion, Philosophy of religion, subjects of philosophy of religion, History of philosophy of religion.

***-مقدمة:**

منذ أن نطق سقراط بكلمته " اعرف نفسك بنفسك" التي قَدْرَ ما كانت تحمل من معنى جعل الإنسان كموضوع لنظر الإنسان نفسه، كانت تحمل كذلك اعتماد الإنسان في نظره على قدراته الذاتية وحدها، أي عدم اعتماده على قدرات من غير جنس قدراته العقلية، كالأسطورة والسحر والخرافة والميتافيزيقا، وحتّى القدرات العقلية المغالِطَة التي كان يستعملها معارضو سقراط من السوفسطائيين، وتعني كلمته أيضا: اعرف غيرك بنفسك، ولا تعرف غيرك بغيرِ نفسك، أي لا

تعرف غيرك بغير عقلك، ومن بين موضوعات هذا "الغير" نجد الدين، ومتى نظرت إليه بنفسك؛ أي بعقلك كانت فلسفة الدين.

إنَّ السؤال عن ماهية فلسفة الدين، هو سؤال فلسفي كما أنه سؤال تاريخي، وهو سؤال يطرحه المبتدئ في الفلسفة كما يطرحه المجتهد فيها، ولمعالجة هذا السؤال لا بد على الأقل أن نتجاوز ثلاث عتبات قبل الولوج إلى موضوع فلسفة الدين، فعند تحليلنا لمصطلح "فلسفة الدين" يتبادر إلى أذهاننا أنَّ موضوعها هو الدينُ وهو المعني بالتحليل حصراً، ولكننا من الناحية المنطقية نكون أمام ثلاث تشكيلات فكرية كل منها تحمل شحنة معرفية، سواء كانت لغوية بحتة، أو تاريخية اكتسبتها كل تشكيلة من خلال تراكمات فكرية ومنهجية خلال صيرورتها التاريخية وهي؛الفلسفة بِعَدِّها الناظِرَة والمتأملة في الدين، والدين بِعَدِّه موضوع النظر والتأمل من طرف الفلسفة، ثمَّ فلسفة الدين بوصفها ذلك المركب الناتج من الاصطلاحيْن، وهذا التركيب يتجلى لنا في علاقتين أساسيتين تشكلتا بين الطرفين هما:

من جهة، أن فلسفة الدين تعني أنَّ لكل دين فلسفة داخلهُ، أو خاصة به يُدَرِّسُها؛ أي فلسفة دين جزئية تتعدد بتعدد الأديان، ومن جهة أخرى أنَّ فلسفة الدين تعني أن لكل الأديان فلسفة خارجها، أو خاصةٌ بدراستها؛ أي فلسفة دين كلية واحدة لا تتعدد بتعدد الأديان، وفلسفة الدين تتقاطع مع كثير من المفاهيم الأخرى القريبة منها أو البعيدة، سواء كان التقاطع جزئيا بوجهٍ من الوجوه أو شاملا بالتَّمَام، كالإلهيات المسيحية وعلم مقارنة الأديان، وتاريخ الأديان، والتصوف، وعلم الاجتماع الديني، وعلم النفس الديني، وعلم الكلام والكلام الجديد، ومما سبق يمكن أن نهندس إشْكالنا كالتالي؛ ما هو المقصود بفلسفة الدين؟ وعلى أيّ أساس يمكن أنْ يكون الدّين موضوعا للنظر الفلسفي؟

أولا: مداخل أساسية لضبط مفاهيم أوَّلية:

1 ـ في معاني الفلسفة:

إنّ مفهوم الفلسفة لا يمكن الوصول إليه بشكل مباشر وسريع، بل لا بد لمحب الحكمة من إتباع طريق منهجي ومعرفي بقدر طاقته، سواء عند بداية الطريق وهو مبتدئ في الفلسفة أو في نهاية الطريق وقد وصل إلى غايته وهو التفلسف وتحقيق الكمال فيه، وأولى عتبات إدراك فلسفة ما هو اسمها، ثم تعريفات اسمها، ثم مسائلها، وهي ما نقصد بها على التوالي؛ في مفهوم الفلسفة أي هو تعريفها لغة و اصطلاحا ثم أهم مباحثها، وهي أهم مداخل إدراك علم أو صناعة ما، وإن كان هناك مداخل أخرى كالمدخل التاريخي، والمدخل الفلسفي عبر دراسة فلسفة كل فيلسوف.

لكن الوصول إلى الغاية أو النهاية في التفلسف لا يتوقف على هذه التعريفات للفلسفة ومعرفة مسائلها، بل لا بد من فهم تفلسف الفلاسفة، أي الإدراك التام لرؤاهم الفلسفية وطريقة

نظرهم للمسائل والمشكلات الفلسفية، والتحكم الصحيح في مناهجهم التي مارسوها في حلّ مسائلهم ومشكلاتهم، وهذه الرؤى والمناهج الفلسفية لا نبالغ إن قلنا أنها تتعدد بتعدد الفلاسفة، وهو ما يجعل طريق الفلسفة ليس طريقا واحدا مستقيما، بل طُرقا متعددة كل طريق يؤدي إلى جزء من الفلسفة لا إلى الفلسفة كلها، وإلى نهاية واحدة لا إلى النهايات جميعها، فالمفهوم عبارة عن صيرورة تاريخية وعلاقة مع مفاهيم أخرى مترابطة ومتوافقة فيما بينها ومتبادلة لمشكلاتها (غتّاري، ماهي الفلسفة، 1997، الصفحات 40-41).

أ . التعريف اللغوي للفلسفة:

ترجع كلمة فلسفة إلى كلمة فيلسوف ولا ترجع هذه الأخيرة إليها، وكلمة فيلسوف حسب كثير من الروايات التاريخية ترجع إلى "فيثاغورس" الفيلسوف اليوناني المشهور، فقد كان لقب فيلسوف يطلق على "أولئك الذين كانوا ينشغلون بمعرفة الأمور الإلهيَّة والبشرية، ومعرفة أصول كل الوقائع وأسبابها" (لالاند، 2001، صفحة 977)، وكان سقراط يصف نفسه بالفيلسوف أي صديق الحكمة، وليس حكيما وهي كأنها كلمة تعني عنده شيء من التواضع الأخلاقي، والفيلسوف كان يطلق على ذلك الإنسان "الذي يحرز في حياته التنسيق العقلي النظري والعملي" (لالاند، 2001، صفحة 978)، كما أن الفيلسوف هو كذلك الذي يهتم بالفلسفة (لالاند، 2001، صفحة 978)، لكن ما هي الفلسفة؟

ترد مفردة فلسفة في معجم كامبريدج على أنها كلمة إغريقية تعني حب الحكمة والمعرفة، وهي تعني دراسة العالم والوقائع والمقولات الأكثر عمومية وتجريدا مثل العقل والحقيقة والبرهان (Simon, 1996, p. 286)، وهنا نجد هذا المعجم يميز بين الحكمة والمعرفة، هذه الأخيرة تحمل معنى عام من جهة ومعنى خاص والذي هو نظرية المعرفة أو الابستمولوجيا عند كثير من الناطقين باللسان الانجليزي(Simon, 1996, p. 123) ، وهي تبحث في كثير من القضايا الخاصة كمصدر المعرفة، وحدودها وموضوعاتها ومناهجها، وكلمة فيلسوف أخذت معاني كثيرة منذ معناها اليوناني الأول أي محب الحكمة إلى اليوم، ففي العصور الوسطى حملت معنى الكيميائي، كما حملت في القرن الثامن عشر ذلك المعنى السلبي والذي ما زال مستمرا إلى يومنا هذا، وهو معاداة الأفكار والمؤسسات الدينية بالرغم من الشق الآخر الإيجابي وهو مناصرة العلم والعقل والحرية (لالاند، 2001، الصفحات 978-979).

ب . التعريف الاصطلاحي للفلسفة:

يوجد تعريفات عديدة لمصطلح الفلسفة عند الفلاسفة الغربيين، حيث يمكن أن نقول أن لكل فيلسوف تعريفه الخاص للفلسفة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغني تعريف واحد أو عدة تعريفات لحصر المفاهيم المتعددة والمتنوعة للفلسفة بين مختلف مدركات الفلاسفة

الغربيين، والمتفرقة بين مراحلها التاريخية والمقسمة بين موضوعاتها ومناهجها، لكن رغم ذلك لابد لنا أن نأخذ ببعض التعريفات حتى يتحقق لنا بها المطلب الأساسي من هذا البحث، فالفلسفة منذ بداياتها الأولى عند فلاسفة اليونان تحددت معالم طريقها بشكل كبير، بداية من "سقراط" الذي حول وجهتها من معرفة الموضوعات الخارجية إلى معرفة الماهيات والمدركات بالنظر العقلي (بدوي، 1984، صفحة 577).

إننا نجد "وليم جيمس إيرل""William James Earle" يعتبرها بأنها "فرع معرفي يدور حول المفاهيم كأحرى من أن يدور حول الوقائع" (إيرل، 2005، صفحة 16)، والفلسفة هي تحليل وتفتيت للمفاهيم المركبة والأفكار المعقدة باستخدام المفاهيم المفهومة والبسيطة (إيرل، 2005، صفحة 18)، ويعرف"جيل دولوز" "Gilles Deleuze " الفلسفة بأنها" فن تَكوينِ وابداع، وصنع المفاهيم" (غتّاري، ماهي الفلسفة، 1997، صفحة 28) و"الفيلسوف هو صديق المفهوم، إنه بالقوة مفهوم. مفادُ هذا أن الفلسفة ليست مجرد فن تشكيل وابتكار وصُنْعِ المفاهيم، ذلك لأن المفاهيم ليست بالضرورة أشكالاً أو اكتشافات أو مواد مصنوعة. إن الفلسفة بتدقيق أكبر، هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم. فهل يمكن للصديق أن يغدو صديق إبداعاته الخاصّة؟" (غتّاري، ماهي الفلسفة، 1997، صفحة 30)، وما يمكن أن نقوله عن تاريخ مفهوم الفلسفة في الفكر الغربي أنه كان دائما يربط الفلسفة بحل المشكلات النظرية للإنسان، دون المشكلات العملية التي لها من يهتم وينظر فيها.

2 ـ في معاني الدين:

أ. التعريف اللغوي للدين:

المعنى اللغوي هو أول عتبة نبدأ بها لمعرفة المعنى العام لمفهوم الدين، ثم نتدرج من هذا المعنى العام إلى المعاني الخاصة لكل مفكر أو فيلسوف أو دين أو مذهب، ثم نتدرج من هذه المعاني الخاصة إلى معنى عام آخر لكنه ليس هو المعنى العام الأول، وهو المعنى الاصطلاحي الذي تتشارك فيه أغلب العقول المفكرة حول ذاك الموضوع.

يَعتبر"أندريه لالاند" "André Lalande"أنَّ الاشتقاق اللغوي لكلمة دين أوReligion فيه اختلاف وجدال، لكنه يعطي بعض المعاني اللغوية لهذه الكلمة، حيث يرى أنَّ معظم القدماء يشتقون كلمة Religio من Religare وهي كلمة تحمل معنى الربط سواء كان بين الناس فيما بنهم، أو بينهم وبين الآلهة، كما يشتقها "شيشرون""Marcus Tullius Cicero" من Relire والتي تعني إعادة القراءة بدقة أو تجديد الرؤية بدقة، لكن كلا المعنيين ينتقدهما لالاند ويعتبرهما تفسيرين مصطنعين أو مفتعلين، وأن هناك اعتقاد سائد حتى اليوم يجعل معنى كلمة دين متعلقا بمعنى الربط (لالاند، 2001، الصفحات 1203-1204).

ب . التعريف الاصطلاحي للدين:

إنَّ تعريف الدين من الناحية الاصطلاحية يمكننا أن نقول بأنَّه من تلك التعريفات التي تعتبر من السهل الممتنع، لكون الدين أكبر شيء يشكل إنّيّةَ الإنسان، والدين هو أقرب إلى خصوصية الإنسان منه إلى عموميته، أي قد يتعدد تعريفه بتعدد فهم كل إنسان له، ففي الفكر الغربي يُعرّف الدين غالبا بحسب الاتجاه الفكري لمُعرّفه، حيث هناك تعريفات نفسية للدين وأخرى اجتماعية وميتافيزيقية وأخلاقية، والغرب الذي استقلت علومه الطبيعية والاجتماعية والإنسانية عن الدين، كان لكل علم منها رؤيته الخاصة ورؤية كل عالم داخل هذه العلوم للدين.

إنَّ أغلب الباحثين لمفهومٍ ما يتجنبون إعطاء تعريف له في بداية بحوثهم لعدة محاذير يرون أنها تُلزمهم ذلك، والدين هو أحد تلك المفاهيم التي بحثها وأعطي لها الكثير من التعريفات، ويمكن أن نعطي أشهرها عند الغربيين ومنهم "فريدريك هيجل" " George Wilhelm Friedrich Hegel"الذي يعرف الدين بصفة عامة بأنه" ذلك النطاق للحقيقة الأبدية والراحة الأبدية والسلام الأبدي" (هيجل، 2001، صفحة 23)، أما "وليم جيمس" فيقول:" فالدين الذي أعنيه هنا، هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم، وما تقود إليه من تصرفات. وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهيًا" (السواح، 2017، صفحة 25)، أما "شلاير ماخر" "Friedrich Schleiermacher" فيرى أن "الدين هو شعور باللانهائي واختبار له. وما نعنيه باللانهائي هنا، هو وحدة وتكامل العالم المدرك. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع، وإنما تنبيء عن نفسها للمشاعر الداخلية. وعندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات، فإنها تخَلّف فكرة الله. وإن الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إمّا نحو المفارقة والتوحيد، أو نحو شكل غير مشخص للألوهة يتسم بوحدة الوجود" (السواح، 2017، صفحة 26).

ثانيا: فلسفة الدين؛ مفهومها ونشأتها وموضوعاتها:

1. في مفهوم فلسفة الدين:

إنَّ محاولة إعطاء تعريف لأي مفهوم بما فيها فلسفة الدين يمكن أن يعتبر بمثابة محاولة القيام بمهمة خطيرة، ففلسفة الدين عند كل المفكرين والفلاسفة لم يعط لها تعريف متفق عليه فما بالك بالتعريف الواحد والمجمع عليه، حتى أن تعريفها باعتبارها النظر العقلي أو التفلسف حول الدين لا يلقى رضا وموافقة الكثير منهم، وذلك راجع للاختلاف حول طبيعة كل من الدين والفلسفة، فما بالك بالمركب بينهما وهو فلسفة الدين(Davies, 1993, p. ix) ، لكن يمكن النظر إلى فلسفة الدين كمصطلح من جهتين: من جهة أنَّ لكل دين فلسفته الخاصة به أي فلسفة داخله أو تحته.

ومن جهة أخرى أنَّ لكل دين فلسفة خارجه أو فوقه تدرسه، فالفلسفة الأولى هي التي تحدد رؤية كل دين لمنظومات الوجود كلها وطبيعة العلاقة معها ويمكن أن نعتبرها"رؤية للوجود"، أما الفلسفة الثانية فهي رؤية في كل دين في رؤيته للوجود ويمكن أن نعتبرها "رؤية في رؤية الوجود"، وفلسفة الدين كمنظومة متميزة وفلسفة مستقلة ظهرت منذ ما يقارب قرنين من الزمن، وقد كانت أهم موضوعاتها الأساسية تدور حول الإلهيات وعلاقة الإنسان بها، وطبيعة الدين ومكانته في الحياة البشرية، بالإضافة إلى الفحص والتبرير العقلاني للدين والبحث الفلسفي لقضايا لغة الدين والإيمان والتجربة الدينية وغيرها من القضايا التي لها صلة بالدين، وقد أشار "جان غروندان" "Jean Grondin" إلى هذه الازدواجية التي يحملها مصطلح فلسفة الدين، فهي من جهة - أي فلسفة الدين- يكون الدين فيها موضوع للتفكير الفلسفي، ومن جهة أخرى فهي تحمل اعترافا للدين بشكل من أشكال الفلسفة الثاوية تحته، أو شكل من العقلانية الذي يقود نحو الحكمة (غروندان، 2018، صفحة 30).

ففلسفة الدين إذن هي باب جديد من أبواب الممارسة الفلسفية، ونشأ هذا النوع من التفكير في أوروبا خلال يقظتها الفكرية أو ما يسمى عصر الأنوار خلال القرن الثامن عشر، كما أنَّ هناك فرقا بين "فلسفة الدين" و"علم اللاهوت"، هذا الأخير الذي تتولاه فئة من رجال الدين لا تكتفي بتوضيح وتبيان معتقدها الديني، بل تنظر في ذات الإله وصفاته وعلاقته بالإنسان والعالم بغية أخذ الآخرين من الناس بما اعتقدوه هم من نظرهم هذا فهم يتسلطون متوسلين بالمؤسسة الكهنوتية، أمّا فلسفة الدين فهي تتوسل بالعقل للنظر في الإنسان وعلاقته بالله، فهي بهذا حركة تحرر فكرية تميز بها عصر وفكر الأنوار (طه، 2006، الصفحات 224-225)، ويمكن أن نردّ مختلف تعريفات فلسفة الدين إلى تعريفين وهما؛ التعريف الذي يرى أنَّ "فلسفة الدين عبارة عن استعمال الطرق الفلسفية(...)للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالمواضيع الأساسية في الفكر الديني" (الرفاعي، 2002، صفحة 419)، والتعريف الآخر الذي يعتبر أنّ"فلسفة الدين هي التفكر الفلسفي حول الدين" (الرفاعي، 2002، صفحة 419).

يرى جان غروندان أن فلسفة الدين" تنصبّ، قبل كل شيء، على ماهية الدين لمعرفة ما هو وما هي عناصره، وأسبابه" (غروندان، 2018، صفحة 38)، وهي لا تهتم بطريقة مباشرة بأشكال ممارسة الدين داخل مجتمع ما، ولا تهتم بدين أو معتقد ما، ولا بأهميته الثقافية أو السياسية أو الأخلاقية، فكل هذه الموضوعات هي مباحث ومسائل لأشكال أخرى من المعرفة، كعلم اجتماع الدين أو اللاهوت أو الانثروبولوجيا أو علم الأديان المقارن أو تاريخ الأديان أو فلسفة الثقافة، لكن فلسفة الدين تنظر بشكل واضح بما هو أساسي وجوهري في الدين دون غيره (غروندان، 2018، صفحة 38)، كما تعرَّف بأنها "فحص معنى وتبرير مطالب الدين"(Honderich, 1995, p. 763) .

وباختصار ففلسفة الدين هي النظر العقلاني للدين وفق مقتضيات الفلسفة، أي استخدام الأساليب الفلسفية للإجابة عن المسائل الجوهرية في الدين أو الفكر الديني بشكل محايد عن أي مرجعية دينية (لغهاوزن، 2014، صفحة 263)، وجدنا من أهم تلك الخصائص خاصيتين هما؛ العقلانية والشمولية، فالفلسفة تنظر بالنظر العقلي في كل الموجودات بغية الوصول إلى الحق، والدين هو أحد أهم تلك الموجودات، إذن فالفلسفة تنظر بالنظر العقلي في الدين باعتباره موجودا من الموجودات بغية الوصول إلى الحق فيه، ومنه فالفلسفة والدين غايتها الوصول إلى الحق مطلقا، أما فلسفة الدين فغايتها الوصول إلى الحق في الدين.

2: المسار التاريخي لنشأة فلسفة الدين:

إنَّ الحديث عن المسار التاريخي لفلسفة الدين، يجعلنا لا نسلك مسارا واحدا بل عدة مسارات، فرغم أن فلسفة الدين غالبا ما تُرجع إلى أصول غربية مسيحية، إلا أنه لا يمكن أن نعتبر هذا المسار هو الإمكان التاريخي الوحيد لكل الإنسانية، فهناك فلسفات دين عديدة بتعدد الأديان، كفلسفة الدين الإسلامية والمسيحية واليهودية والبوذية، وسنتناول هاهنا مسار النشأة لفلسفة الدين في الفكر الغربي.

هناك من يعتبر أنَّ "التأمل الفلسفي حول الدين والعقائد الدينية قديم بقدم الدين نفسه إلى درجة يمكن القول معها إنه توأمٌ للدين" (فتح، 2016، صفحة 15)، لكن لا يمكن الأخذ بهذا الرأي بشكل مطلق، فالتفكير الفلسفي المنهجي في شكله النسقي والذي يخضع للمنطق والنزعة الإنسانية ظهر خاصة عند اليونان بداية من "سقراط" و "السوفسطائيين" وخاصة مع "أرسطو"، وهذا الرأي يفتح باب إمكان وجود تفكير حول الدين قبل زمن العقلانية الحديثة التي بدأ العقل فيها يمسك بزمام الحكم على الأشياء، وحتى الفلاسفة اليونانيين لم تظهر عندهم فلسفة الدين أولم يبحثوا في الدين كما بحثوا في مباحث أخرى كالوجود والسياسة والتربية، لأن الدين بمعناه الإلهي أو الإيماني لم يكن موجودا عندهم على مستوى الفكر، فهم لم يعرفوا ولم يدرسوا أو لم يتعمقوا في دراسة مباحث من قبيل التوحيد والوحي والنبوة والمعاد والمعجزات واليوم الآخر، بخلاف ما نجده عند الفلاسفة الذين أتوا بعدهم والذين يتَّبعون الأديان السماوية الثلاثة؛ الإسلام والمسيحية واليهودية.

فالعقل اليوناني كان يستند على مبادئ الطبيعية الحسية ويرجع أصل الوجود والموجودات إلى مبدأ طبيعي أول، سواء كان هذا المبدأ هو الماء أو التراب أو النار أو الذرة أو الهيولى، فعناصر الطبيعة كانت دائما هي المُوَجه للفكر اليوناني، وهو ما تجلى في مبحث الوجود، وحتى مع فلاسفتهم الكبار كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين كانت لهم دراسات في ما وراء طبيعية أوالميتافيزيقا والتي كانت دائما مرتبطة بشقها الآخر وهو الفيزيقا أو الطبيعة.

ويَعتبِر أغلب المؤرخين أنَّ فلسفة الدين لم تكن شيئا يذكر قبل كتابَيْ "الدين في حدود مجرد العقل" للفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" الصادر سنة 1793 وكتاب "فلسفة الدين" لهيجل" الذي صدرت أولى محاضراته سنة 1832(punjer, 1887, p. 02) ، ولكن رغم هذه البداية التاريخية المحددة إلاّ أنّ البعض يُرجع إرهاصات فلسفة الدين إلى فكر وفلسفة القرون الوسطى التي كانت ذات توجه ديني بحت، فقد كان الدين المسيحي هو الذي يحدد رؤية الإنسان لنفسه وللكون وللحياة والعالم ولكلِّ شكل من أشكال التفكير، وكان الفكر الفلسفي يدور اهتمامه حول أحوال الآخرة وعالم الغيب (محمود، 1935، صفحة 61)، وإلى هذه المرحلة المسيحية كما قلنا يُرجِع بعض الفلاسفة بدايات ظهور فلسفة الدين، لكن مصطلح "فلسفة الدين" لم ير النور إلا في القرن التاسع عشر(Wainwright, p. 03) .

وأصبحت فلسفة الدين حقلا معرفيا مستقلا عن غيره من حقول المعرفة الفلسفية له حدوده وموضوعاته ومناهجه وذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر، ويعتبر الفيلسوف الألماني كانط أول من جعل فلسفة الدين كمبحث فلسفي مستقل، وهذا في كتابه "الدين في حدود العقل وحده"، ويعتبر هذا الكتاب كبداية منهجية لظهور مبحث فلسفي نسقي مستقل وهو فلسفة الدين، لكن هذا الكتاب لم تظهر الأفكار التي يحتويها فجأة من طرف صاحبه، بل تسبقه بدايات فكرية ساهمت في بنائه وظهوره، وهي تمتد عند مختلف الفلاسفة المسيحيين الذين سبقوا كانط، هذه البدايات لم تعتمد على المنهج العقلي وحده بل كان يغلب عليها الطابع الدفاعي عن الدين (الخشت، 2001، صفحة 07)، أي كان يغلب عليها المناهج الجدلية والبيانية التي كانت ترتكز على اللغة الدينية النصية، والتي يعتمد أصحابها على مسلمات عقدية قبل البحث في أي معرفة دينية، وغاية البحث عندهم هو الدفاع عن العقائد الدينية، وهؤلاء الفلاسفة كانوا لا يبحثون في أيّ معرفة دينية إلاّ وهم يحملون مسلمات يؤمنون ويدافعون عنها مسبقا، وهذا ما نجده في علم الكلام الإسلامي الذي أهم ما يميزه هو الدفاع العقلي عن العقائد الدينية (الخشت، 2001، صفحة 08).

وقد ازدهرت فلسفة الدين في النصف الثاني من القرن العشرين، وأصبحت هناك الكثير من الكتابات حول هذا الفرع الفلسفي، والكثير من الذين تفلسفوا حول الدين في هذه الفترة ينعتون أنفسهم بفلاسفة الدين (Davies، 1993، صفحة ix)، مثل كثير من الفلاسفة الذين أطلقوا على أنفسهم أو أُطلق عليهم اسم فلاسفة في فروعهم الفلسفية، مثل فلاسفة الأخلاق وفلاسفة السياسة وفلاسفة التاريخ، حيث ظهر العديد من فلاسفة الدين الغربيين الذين تحمل إحدى مؤلفاتهم عبارة "فلسفة الدين".

3 ـ موضوعات فلسفة الدين:

إنَّ أهم ما نلاحظه عند أغلب فلاسفة الدين إن لم يكن كلهم هو عدم الاتفاق والقول بموضوع واحد لفلسفة الدين، بل يجعلون لها موضوعات أو مباحث أو مسائل شتَّى، وكثير منهم يجعل لها موضوعات أساسية وأخرى ثانوية، كما أنَّ منهم من يجعل ما كان أساسيا عند بعضهم ثانويا عنده والعكس، وتتحدّث فلسفة الدين ـ وهي البحث الفلسفي في مجال الدين ـ عما يتعلّق بشؤون الدين: منشأ الدين، ضرورة الدين، حقيقة الدين، أهداف الدين، المعرفة الدينية، واقعية القضايا الدينية (فتح، 2016، صفحة 15).

وأهم الموضوعات التي تتناولها فلسفة الدين نجد"ماهية الدين، الألوهية، الوحي والنبوة، المعجزات، ماهية العبادات ووظيفتها، مشكلة الشر، الحياة الآخرة، ومنطق ارتقاء الدين" (الخشت، 2001، صفحة 08)، ومن القضايا الأساسية للدين والتي بحثها الفلاسفة نجد" الأبحاث المتعلقة بوجود الله تعالى، ذاته وصفاته، قضية الشر، قضايا علم المعرفة، بعض القضايا المتصلة بالأخلاق، والتعاليم الدينية، بعض التساؤلات حول النشاطات الدينية والتصوف، ونظريات في باب اللغة الدينية، ونظريات حول المبادئ الدينية الخاصة مثل: مبدأ المعاد، والتثليث في المسيحية" (لغنهاوزن، 2014، صفحة 263).

إنَّ موضوعات فلسفة الدين لا يمكن أن يبحثها فيلسوف واحد بمفرده، فهي قبل ظهور فلسفة الدين كانت تُبحث ضمن مباحث الفلسفة الأخرى من طرف الفلاسفة، وليس من طرف فلاسفة الدين الذين لم يظهروا بعد. لكن الموضوعات التي بحثوها هي تقريبا نفس الموضوعات التقليدية، كأدلة وجود الله ومشكلة الشر وما بعد الموت والمعجزة، أما الموضوعات التي الجديدة أو أخذت شكل الجدة مثل موضوع الإيمان بالله الذي أخذ اهتماما بالغ الأهمية في فلسفة الدين الغربية المعاصرة، كما نجد موضوعات أخرى مثل اللغة الدينية والتعددية الدينية والتجربة الدينية والمعنوية والعقلانية الدينية بالإضافة إلى موضوعات أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها.

ـ خاتمة:

إذا كان الدين هو ذلك التسليم أو الارتباط أو الالتزام الذي يربط الإنسان بالله عبر الوحي أو بموجود متعالي أو بالمقدس، والفلسفة هي النظر العقلي لكل الموجودات، فإن فلسفة الدين هي النظر العقلي في الظاهرة الدينية وكل ما يرتبط بها، سواء من جهة الألوهية أو الإنسان المتدين أو ذلك الرابط الديني بينهما، وفلسفة الدين تدور موضوعاتها حول هذه الوحدات الثلاث؛ أي الألوهية والإنسان والغيب، هذا الأخير الذي مصدره في الأديان الإيمانية هو الوحي أو النص الديني، فنجد من موضوعات الألوهية؛ وجود الله والتوحيد والإيمان وطبيعة الوحي ومشكلة الشر والحياة بعد الموت، كما نجد موضوعات مرتبطة بالإنسان مثل؛ التجربة والتعددية الدينية وما

يربط بمجالات حياة الإنسان كالإيمان والعقلانية، والدين والسياسة والدين والعلم، أما ما يتعلق بجانب النص الديني فنجد مباحث مثل؛ طبيعة اللغة الدينية ومناهج قراءة وتفسير النصوص الدينية.

ورغم قدم الظاهرة الدينية والسابقة على الظاهرة الفلسفية، إلا أن الدين لم يصبح موضوع للنظر الفلسفي النقدي، إلاّ مع نهاية القرن الثامن عشر ، وما جعل الدين يتأخر حتى يصبح موضوع بحث للفلسفة رغم أن هذه الأخيرة تنظر في كل الموجودات، هو ارتباط ذلك بعوامل تاريخية متراكمة منها تلك الضربات القوية التي تلقاها الفكر الديني من قبل الفكر النقدي والفكر العلمي الحديث، الأمر الذي أدى إلى فقدان الدين لمركزه السياسي وسلطته الفكرية والروحية لصالح العقل والفلسفة والعلم.

والأساس الذي يمكن أن يُبنى عليه الدين كموضوع للنظر الفلسفي تحت مسمى فلسفة الدين، هو من جهة يتعلق بالفلسفة باعتبارها تنظر في "الوجود بما هو موجود" أو تنظر في كل الموجودات، والدين لا يمكن أن يكون استثناءا عن هذا المطلب الفلسفي، ومن جهة أخرى هناك تعدد وتنوع في الأديان والظواهر الدينية، الأمر الذي لا يمكن أن يكون متجاهلا ومستبعدا من الفلسفة، وعليه أصبحت الظاهرة الدينية عموما موضوع نظر فلسفي لأنها باختصار أصبحت تقبل وتستدعي الفلسفة التي تحاول عقلنة كل ظواهر الوجود.

أما فلسفة الدين في الفكر الإسلامي المعاصر فهي لم تناقش فلسفيا إلى اليوم كما ناقشت نظيرتها الغربية الموضوعات الدينية التقليدية، كوجود الله ومشكلة الشر والإيمان، هذا الأخير الذي أصبح هو مركز فلسفة الدين الغربية المعاصرة، فالفكر الإسلامي ركَّز أغلب جهوده واهتمامه على قراءة النص الديني، ومحاولة إيجاد مناهج جديدة لإعادة قراءته، وأخذ في ذلك بالمناهج ما بعد حداثية أو ما يعرف بالمناهج التأويلية المعاصرة، التي تعتبر مناهج تفكيكية أكثر منها مناهج نقدية لإعادة البناء كما تميزت به المناهج الحداثية.

قائمة المراجع:

01- أمين، أحمد ومحمود، زكي نجيب ، (1935) قصة الفلسفة الحديثة، ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

02- إيرل، وليم جيمس ، (2005) مدخل إلى الفلسفة، م1، ترجمة: عادل مصطفى، ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

03- بدوي، عبد الرحمان، (1984)موسوعة الفلسفة، ج1، ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

04- الخشت، محمد عثمان، (2001) مدخل إلى فلسفة الدين، ط1. القاهرة: دار قباء ، القاهرة.

05- دولوز، جيل وغتّاري، فيليكس ، (1997)ماهي الفلسفة، ترجمة ومراجعة وتقديم مطاع صفدي وفريق مركز الإنماء القومي، ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

06- الرفاعي، عبد الجبار، (2002). علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، ط1. بيروت: دار الهادي.

07- السواح، فراس، (2017) دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط8. دمشق: دار التكوين.
08- شبستري، محمد مجتهد، (2013) الهرمنيوطيقا: الكتاب والسنة، ترجمة حيدر نجف، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
09- عبد الرحمان، طه، (2006). سؤال الأخلاق: مساهمة في نقد الحداثة الغربية، ط3. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
10- عبد الرحمان، طه ، (2000) فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة، ط2. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
11- علي خاني، محمد فتح، (2016) فلسفة الدين عند ديفيد هيوم، ترجمة: حيدر نجف، (ب.ط). النجف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
12- غروندان، جان، فلسفة الدين،(2018) ترجمة: عبد الله المتوكل، ط1. الرباط: مؤمنون بلاحدود.
13- لالاند، أندريه ، (2001)موسوعة لالاند الفلسَفيّة، ج2، ت: خليل أحمد خليل، ط2. بيروت باريس: منشورات عويدات.
14- لغنهاوزن، محمد، (2014) موسوعة فلسفة الدين، ج1، تمهيد لدراسة فلسفة الدين، إعداد وتحرير:عبد الجبار الرفاعي، ط1. بيروت-القاهرة-تونس: دار التنوير.
15- ملكيان، مصطفى، (2010) العقلانية والمعنوية: مقاربات في فلسفة الدين، ترجمة: عبد الجبار الرفاعي وحيدر نجف، ط1. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
16- النعماني، شبلي، (2012). علم الكلام الجديد، ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
17- هيجل، فريدريك، (2001). محاضرات فلسفة الدين، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1. القاهرة: مكتبة دار الكلمة.
18- Blackburn, Simon, (1996) The Oxford Dictionary of Philosophy, (N.E). Oxford, UK: Oxford University Press.
19- Davies, Brian, (1993) An Introduction to Philosophy of Religion, (2nd E). Oxford, New York, USA: Oxford university press.
20- Honderich, Ted, (1995)The Oxford Companion to Philosophy, (1st E), Oxford, New York, USA: Oxford University Press.
21- punjer, Bernhard, (1887) History of the christian philosophy of religion: from the reformation to kant,translated by w. hast ie, b.d, (N.E). Edinburgh,UK.
22- Wainwright, William J., The Oxford Handbook of Philosophy of Religion, (N.E). Milwaukee, USA: University of Wisconsin.